المرحلة الرابعة / التطبيقات الادبية

الكورس االثاني / د . مرتضى عبد النبي الشاوي

المحاضرة الثالثة / المنهج الشكلي

الشكلانيون الروس أو المستقبليون أو أصحاب النظرية الشائعة تسميات أطلقت في النصف الأول من القرن العشرين علدي على اتجاه نقدي يمثله عدد من النقاد والدارسين الروس .

شكل أصحاب هذا المنهج أسس ثورة منهجية جديدة في دراسة اللغة والأدب هدفوا الى انجاز دراسات لسانية وشعرية وعروضية وفولكلورية وايضا الى دراسة اللغة الشعرية وشكل عمل هؤلاء في النقد والتحليل والأدب والشعر ظاهرة كادت تتحول الى نظرية دعيت بالنظرية الشائعة .

سميت أحدى مدارسهم بمدرسة المستقبلين وأخرى تسمية الشكلانيين لاعتقادهم أنهم أولوا عنايتهم الى الشكل أكثر من اهتمامهم بالمضمون ولكنهم بتفاوت لأن الشكلانيين يرفضون التصور الشائع والقائل بأن الشكل مناقض للمضمون .

لقد أحدث الشكلانيون الروس نقلة نوعية في نظرية الأدب فجعلوا الآثار الأدبية نفسها محور دراستهم ومركز دراستهم ومركز اهتماهم النقدي واغفلوا ما عداها من مرجعيات تتصل بحياة المؤلف وبيئته وسيرته وسعوا الى خلق علم أدبي مستقل انطلاقا من الخصائص الجوهرية للأدب وبحثوا عن عناصر بنية النص الأدبي ونظام حركة هذه العناصر .

ورفضوا هيمنة النقد الاجتماعي (السوسيولوجي) ذي العد الاديولوجي الذي ظل مسيطرا على الأدب الروسي الايدولوجي .

لقد سعى الشكلانيون الروس الى تأسيس نظرية جمالية وتطلعوا الى خلق علم أدبي مستقل ينطلق من الخصائص الجوهرية للأدب والسمات الفنية له .

لقد طالبوا بمقاربة النص الأدبي مقاربة محايثة بوصفه بنية فنية مغلقة ومكتفية بذاتها لا تحيل على وقائع خارجة عنها مما يتجاوز عنها مما يتجاوز لغتها ويتصل بالذات المنتجة أو بسياقها انتاجها بل تحيل على اشتغالها الداخلي فقط .

بدأ اهتمامهم بتحيل النص الأدبي بوصفه نقطة البدء والمعاد اليه

لقد ذهب الشكلانيون الروس الى أن جوهر الظاهرة الأدبية لا يتلخص في علاقتها بمنشئها أو بيئتها بقدر ما يتلخص في كينونتها الموضوعية بوصفها بنية مستقلة .

كان المقصود توجيه النقد الى النص وهذا هو المفهوم الشائع لديهم فهذا أمر مقبول جدا ولعل الأهم لدى الشكلانيين هو تقويم النص بوصفه نصا لغويا وحسب .

المشكلة في طروحاتهم تكمن في أنهم رأوا أن قوام النص الأدبي وجوهره الأساس في الكلمات وليس في الأفكار .

فليس معنى النص أو مضمونه ولا مؤثراته الخارجية ما يمنح الأدب هويته وانما صياغته وطريقة تركيبه ودور اللغة فيه هو ما يجعل من الأدب أدباً .

وهذا هو الذي قادهم الى المناداة بـ(أدبية الأدب) مؤكدين أهمية بروز الشكل ليميزوا الأدب من سائر الأنظمة الاجتماعية والفكرية الأخرى ومركزين على صفة الأدبية أي هي مجموع المواصفات التي تتحقق في النص لتجعل منه أدبا .

يقول ياكبسون : ان موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وانما الأدبية وهي أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا .

يقول فيكتور أرلينخ ان مكمن خاصية الأدب ينبغي البحث عنها في الأثر الأدبي نفسه وليس في الأحوال النفسية للمؤلف أو القاريء

اذن ان اهتمام الشكلانيين بجوهر الظاهرة الأدبية أمر مفيد للدراسة النقدية .

لكن البعض من النقاد لا يوافقون على بأن جوهر النص الأدبي هو الكلمات كونه يصدق على البنية السطحية اما البنية العميقة للنص فان الكلمات تحيل الى أفكار ولا يوجد كلمات لا تحيل الى فكر الا اذا كانت تزويقية لا معنى لها .

اهتموا بمفهوم الشكل ومفهوم الوسيلة ومفهوم الوظيفة ومفهوم صالشعرية ومفهوم الحكاية الخرافية على صعيد النثر وفن الرواية وركزوا على مفهوم الوظفة للشخصية للروائية وليس على الشخصية الروائية نفسها وانما الوظيفة التي تقوم بها تلك الشخصية .

كذلك التركيز على مفهوم السرد ودراسة القصة وتفريقها عن الحبكة ودراسة المبنى الحكائي والمتن الحكائي وتحليل الخطاب القصصي

وبعضهم اهتم بجمالية مواد لبناء في اختزال مشاكل الخلق الشعري الى مسائل لغوية .

وركز غيرهم في أوربا وامريكا على القضايا الأدبية مثل الانسجام والوحدة والأخيلة وكل ما يتصل بالتركيب اللغوي وبالخيال الشعري الخلاق وطرائق تشكل الرمز ودوره في تحديد دلالات النص الى غير ذلك من قضايا تمس جوهر الظاهرة الأدبية بوصفها ظاهرة لغوية وجمالية .

لقد جهد الشكلانيون للإلمام بأسرار اللغة الشعرية عبر مبدأين سعيا الى تحقيقهما :

١-ان موضوع الأدب هو الأدبية ليحصروا ميدان شغلهم داخل النص فكان العمل الادبي واستنطاق خصائصه النوعية هو موضوع اهتمامهم رافضين المقاربات النفسية والفلسفية والاجتماعية .

٢-رفض ثنائية الشكل والمضمون وتمييز الخطاب الأدبي بأنه خطاب يختلف عن غيره من الخطابات ببروز شكله .

وليس معنى ذلك أنهم يهملون المضمون بل على العكس من ذلك يرون ان المضمون لا يتحقق الا من خلال شكل فني وان الشعر هو الفكر بواسطة الصور وان الصورة الفنية تشكل وحدة الفن وجوهر المضمون والشكل وان الصورة هي شكل ادراك الحياة في الفن .

ترك الشكلانيون مفاهيم نقدية وجمالية :

١-التغريب : وهو الاعتقاد ان ما يمنح الفن معناه هو قدرته على أن يسقط الألفة من الاشياء ويقوم بتغريبها ليرينا إياها بطريقة جديدة وغير متوقعة وان هدف الفن هو نقل الاحساس بالأشياء ليس كما نعرفها وانما كما ندركها آية ذلك ان عملية الإدراك هي غاية جمالية بحد ذاتها ولا من إطالة أمدها .

مثلاً ما قام به شكلوفسكي بتطبيق مفهوم التغريب في الرواية فمثلا تعليقه في أهمية مفهوم التغريب واسقاط الألفة لرواية لورنس شتيرين الموسومة (ترستزام شاندي) حيث يقول : ((ارتمى على الفراش ، وراحة يده اليمنى تتلقى جبينه وتغطي عينيه ، وتغوص مع رأسه برفق (بينما تراجع مرفقه الى الخلف) إلى أن لمس أنفه الدثار ، وتدلت ذراعه اليسرى جامدة إلى جنب السرية وأصابعه متكئة على مقبض حوض الغرفة))

فقد كان يمكن وصف حالة شاندي بجملة واحدة مثلا (انطرح حزينا في سريره) فاطالة الوصف أطالت من أمد عملية الادراك مما أثر في عملية الادراك ذاتها بوصفها غاية جمالية .

٢-القص : يميز الشكلانيون بين الحبكة والحكاية حيث يؤكدون أن الحبكة هي التي تنفرد وحدها بالخاصة الأدبية

أما القصة أو الحكاية فهي مجرد مادة خام تنتظر يد الكاتب البارع الذي ينظمها .

٣-التحفيز : يطلق على أصغر واحدة من الحبكة اسم الحافز وهناك فرق بين الحافز المقيد والحافز الحر فالحافز المقيد هو الحافز الذي تتطلبه الحكاية أو القصة

والحافز الحر فهو حافز غير أساسي من وجهة نظر الحكاية أو القصة والحوافز الحرة من المنظور الأدبي هي التي تغدو موضع تركيز الفن .

مثلا جعل رفائيل يروي قصة الحرب في السماء هي حافز حر لأنها ليست جزءا من الحكاية المطروحة .

٤-العنصر المهيمن وهو العنصر الذي يحتل البؤرة من العمل الفني وهو الذي يحكم غيره من العناصر والمكونات ويحددها ويحورها فمثلا النظرية الأدبية في عصور مختلفة محكومة من عنصر مهيمن ينبع من نسق غير أدبي .

مثلا العنصر المهيمن على شعر عصر النهضة الأوربية نابع من الفنون البصرية

والعنصر المهيمن على الشعر الرومانسي هو الموسيقى والعنصر المهيمن في الواقعية هو فن القول .